# قراءة في أسلوبية الدكتور سعيد عدنان المحنة: كتاب (في أفق الأدب) اختياراً

## *A Stylistic Reading of Dr. Saeed Adnan Al-Mihna: Fi Ufuq al-Adab as a Case Study*

**أ.د. منار خالد بادي:** أستاذ دكتور في اللغة العربية (الصوت والصرف والدلالة)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق.

***Prof. Dr. Manar Khalid Badi**: Professor of Arabic Language (Phonetics, Morphology, and Semantics), College of Education for Humanities, Al-Muthanna University, Iraq.*

Email: minr@mu.edu.iq

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i8.2033

تاريخ الاستلام: 2026-06-23 تاريخ القبول: 2026-07-20 تاريخ النشر 2026-08-01

**الملخص**:

تتناول هذه الدراسة السمات الأسلوبية العامة والخاصة في كتاب في أفق الأدب للدكتور سعيد عدنان المحنة، للكشف عن أبرز خصائص لغته وآليات بنائه النصي وطرائق توظيفه للأدوات التعبيرية. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في قراءة نصوص الكتاب وتحليل ظواهرها الأسلوبية، بما يبرز ما تنطوي عليه من ثراء لغوي وفني. وقد أظهر التحليل أن الكاتب يمتلك أسلوبًا متحررًا من النمطية، يستند إلى وعي واضح باللغة وإمكاناتها، ويعكس حصيلة واسعة من التجارب والقراءات الأدبية والنقدية. كما اتسمت كتاباته بتنوع الأساليب، وكثرة الانتقالات والاستطرادات التي لا تنفصل عن السياق، بل تؤدي وظائف دلالية وجمالية تسهم في توسيع الفكرة، وتعميق المعنى، وإشراك القارئ في مسار الكتابة. وتوصلت الدراسة إلى أن الاستطراد شغل مساحة بارزة في أسلوب الكاتب، ولم يكن خروجًا عن الموضوع أو عنصرًا مضعفًا لبناء النص، بل جاء أداة فنية تطريزية تتيح الدخول إلى عوالم النص وتعزز تماسكه الداخلي، بما يكشف عن حضور القارئ في وعي الكاتب أثناء الكتابة. وخلصت الدراسة إلى أن أسلوب الدكتور سعيد عدنان المحنة يتصف بالسهل الممتنع؛ فهو قريب في مضامينه وأفكاره، إلا أن محاكاته والنسج على منواله أمر عسير. وأوصت الدراسة بتكثيف الدراسات الأسلوبية والنقدية التي تتناول نتاج الشخصيات الأكاديمية والأدبية؛ لما تتسم به من دقة معرفية ورصانة علمية وقيمة فنية.

**الكلمات المفتاحية:** الأسلوبية، سعيد عدنان المحنة، في أفق الأدب، السمات الأسلوبية، التحليل الأسلوبي، الخطاب الأدبي، الاستطراد، البناء النصي، اللغة الأدبية، السهل الممتنع.

**Abstract:**

This study examines the general and specific stylistic features of Dr. Saeed Adnan Al-Mihna's book On the Horizon of Literature, with the aim of identifying the main characteristics of his language, textual construction, and use of expressive devices. The study adopted a descriptive-analytical approach to examine and analyse the stylistic phenomena in the book's texts, highlighting their linguistic and artistic richness. The analysis revealed that the writer employs a style free from conventional patterns, grounded in a clear awareness of language and its possibilities, and reflecting extensive literary and critical experience and reading. His writings are also marked by stylistic diversity, frequent transitions, and digressions that are closely connected to the context. Rather than weakening the text, these digressions perform semantic and aesthetic functions by expanding ideas, deepening meaning, and involving the reader in the writing process. The study found that digression occupies a prominent place in the writer's style and does not constitute a departure from the subject; rather, it serves as an artistic and decorative device that opens access to the text's worlds and strengthens its internal coherence, revealing the writer's awareness of the reader during the act of writing. The study concludes that Dr. Saeed Adnan Al-Mihna's style may be described as "simple yet inimitable": accessible in its meanings and ideas, yet difficult to imitate. It recommends further stylistic and critical studies of academic and literary figures' works because of their intellectual precision, scholarly rigour, and artistic value.

**Keywords**: Stylistics, Saeed Adnan Al-Mihna, On the Horizon of Literature, stylistic features, stylistic analysis, literary discourse, digression, textual construction, literary language, simple yet inimitable style

**المقدمة:**

لا يبدو في وصف الدكتور سعيد عدنان بأنه من أبرز الكتّاب والأدباء والنقّاد أيّ مبالغة؛ فالقارئ المتأمل في نتاجه يلمس قلمًا متمكنًا تشبّع بروح العربية الفصحى، واستوعب جمال نظمها ودقة سبكها وثراء أساليبها الأدبية والنقدية. وتتجلى هذه المقدرة في مقالاته التي لا تكتفي بعرض الأفكار أو توثيق الوقائع، بل تنهض على رؤية ثقافية وأدبية تكشف عن وعي عميق بالإنسان والنص والبيئة الثقافية المحيطة به.

ويتوزع محتوى هذه المقالات على أربعة مسارات رئيسة: مسار يتناول أساتذة وأدباء تركوا أثرًا في الحياة الثقافية، ومسار يلتفت إلى عدد من الشعراء، ومن بينهم من جمع بين الإبداع الشعري والنقد الأدبي، ومسار ثالث يقف عند أربعة أعلام صرّح الكاتب بمكانتهم الخاصة في نفسه، إلى جانب مسار رابع يعالج قضايا ثقافية واجتماعية متنوعة. ويمنح هذا التنوع الكتاب ثراءً موضوعيًّا يضيء جوانب من التجربة الإنسانية والثقافية، ويبرز اتساع اهتمامات الكاتب وعمق صلته بالوسط الأدبي.

وعلى الرغم من غلبة الطابع السردي والتوثيقي على جانب من هذا المحتوى، بما قد يحجب بعض الملامح الفنية الظاهرة عادةً في تحليل النصوص الشعرية أو النثرية الخالصة، فإن لغة الكاتب وأساليبه تظل حافلة بسمات فنية جديرة بالدراسة. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة لاستكشاف الخصائص الأسلوبية والفنية التي تميز كتابته، والكشف عن الأنساغ الأدبية الكامنة في بنائها اللغوي، وما تنطوي عليه من قدرة على الجمع بين التوثيق وجمالية التعبير، بما ينسجم مع ما يعلنه الدكتور سعيد عدنان من حضور الأدب في تجربته الكتابية.

**مشكلة الدراسة:**

تنبع مشكلة الدراسة من الحاجة إلى الكشف عن السمات الأسلوبية والفنية التي تميز لغة الكاتب في كتابه في أفق الأدب، والوقوف على الخصائص التي تشكل بنية خطابه السردي والتأملي. فعلى الرغم من تنوع موضوعات الكتاب وغلبة الطابع التوثيقي والثقافي على بعض نصوصه، فإن لغته تنطوي على ملامح أسلوبية خاصة تستحق التحليل؛ لما تكشف عنه من وعي بالتعبير، وقدرة على توظيف الأدوات اللغوية والبلاغية في بناء المعنى وتأثيره.

وفي ضوء ذلك، تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما أبرز التفردات الأسلوبية في كتاب في أفق الأدب، وما تمثلاتها، وكيف وظفها الكاتب في نصوصه؟

**منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تناول نصوص كتاب في أفق الأدب؛ إذ يقوم هذا المنهج على وصف الظواهر الأسلوبية واللغوية الواردة في النصوص، وتحليل بنيتها ووظائفها الفنية والدلالية، للكشف عن أبرز السمات التي تميز لغة الكاتب وطرائق توظيفه للأدوات التعبيرية في بناء المعنى.

**أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى إبراز السمات الأسلوبية التي تميز بها الكاتب في كتابه في أفق الأدب، والكشف عن الآليات الفنية واللغوية التي اعتمد عليها في بناء نصوصه. كما تسعى إلى بيان الخصائص الأسلوبية التي تجلّت في مقالاته المتنوعة الموضوعات، وتحليل طرائق توظيفه للأساليب والتقنيات الفنية في التعبير. وتستهدف الدراسة كذلك الكشف عن ما يتمتع به الكاتب من ذاكرة ثقافية وأدبية واسعة، وانفتاح واضح على أساليب الكتابة وتقنياتها المتعددة، بما يضفي على نصوصه ثراءً فنيًا ودلاليًا.

**أهمية الدراسة:**

يُعدّ موضوع هذا البحث جديدًا؛ إذ لم يسبق، في حدود علمنا، أن تناوله باحث بالدراسة والتحليل، فضلًا عن ارتباطه بشخصية أدبية وأكاديمية بارزة هي الدكتور سعيد عدنان المحنة، الذي تمثل نتاجاته الأدبية والنقدية فضاءً غنيًا بالتحولات الأسلوبية والقدرات اللغوية. وتبرز في كتاباته مقدرة واضحة على تطويع الألفاظ وبناء التراكيب بما يخدم مقاصده الفكرية والجمالية.

**دوافع اختيار موضوع الدراسة:**

تعددت الدوافع التي حفّزت على إنجاز هذه الدراسة، ومن أبرزها:

1- تسليط الضوء على السمات الأسلوبية في الخطاب النقدي للكاتب، وما يتصل به من مجالات الأدب والشعر والكتابة.

2- الوقوف على الانتقالات الأسلوبية التي وظفها الكاتب، وبيان صلتها بالسياق الذي يقتضيها، فضلًا عن تنوع الموضوعات التي تناولتها نصوصه واستطرادها في مجالات متعددة.

3- إبراز القيمة الأدبية والنقدية لنتاج الدكتور سعيد عدنان المحنة، والكشف عن ثراء لغته وقدرته على توظيف التقنيات الفنية في بناء مقالاته وصياغة أفكاره.

**صعوبات الدراسة:**

واجهت الدراسة عددًا من التحديات البحثية، من أبرزها:

1- صعوبة استنطاق النصوص والكشف عن السمات التي تميز أسلوب الكاتب؛ إذ تطلّب ذلك إعمال الفكر، ودقة الملاحظة، وتعميق التحليل للكشف عن الأبعاد الفنية والدلالية الكامنة في لغته.

2- محدودية الدراسات السابقة التي تناولت تجربة الكاتب الأدبية والنقدية، مما صعّب الاستناد إلى مرجعيات تطبيقية مماثلة، وأوجب على الدراسة بذل جهد أكبر في بناء إطارها التحليلي واستخلاص نتائجها من النصوص مباشرة.

**هيكلية الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على هيكلية قوامها مقدمة وتوطئة في ماهية الأسلوب ثم مطلبين: المطلب الأول: اختص بالسمات الأسلوبية العامة والمطلب الثاني: اختص بالسمات الأسلوبية الخاصة بلغة الكاتب تقفوها خاتمة.

## مدخل في ماهية الأسلوب:

الأسلوب في اللغة: السطر من النخيل والوجه والمذهب والطريق، ويقال؛ أنتم في أسلوب سواء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال:أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه[1]، أما الأسلوب وفقا للدراسات الأدبية، فقد حظى بعدد كبير من المفاهيم والتعريفات التي يصعب الإحاطة بها إلا إنه لا يخرج عن الماهية الآتية: إنه طريقة عمل، ووسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات والتركيبات وهو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه[2]، وهذان التعريفان هما عين ما ذكره الجرجاني وابن خلدون في تعريفهما للأسلوب مع اختلاف

[1]- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر، مادة (سلب)، ج1، ص473.

[2]- علوش، سعيد. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1. الدار البيضاء، ص114؛ الشايب، أحمد. (1990). الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص44.

العبارة[1]، وقد ذهب كل من الدكتور صلاح فضل، والدكتور سعد مصلوح إلى أن الغزارة في تعريفات الأسلوب هي ظاهرة صحية تساعد بالضرورة على تحديده والتعرف على ماهيته وخصائصه[2].

وسنحاول أن نستعرض السمات الأسلوبية التي ينماز بها أسلوب الدكتور (سعيد عدنان المحنة) على وجه العموم والخصوص، في كتابه (في أفق الأدب) اختيارا؛ بعدّه متن البحث وخاصتنا فيه.

## المطلب الأول: السمات الأسلوبية العامة

لقد استطاع الدكتور (سعيد عدنان)، أن يكسر بقوة نمطية الكتابة ويحفر بعمق وثبات بصمته التعبيرية، وأنه لا يسهل على القارئ العادي فضلا عن الباحث المختص، الاستدلال بالأسلوب الخاص بالدكتور، وأن يلتمس فيه معالم شخصيته وتكوينه الفكري والثقافي، وهذه صفة مهمة من صفات الكتابة المتأسلبة، ولكن أسلوب الكاتب لم يأتِ هكذا ثمر بلا شجرة، وليس من أحد إلا وقد تأثر بغيره وأثر في غيره أيضا.

فكان نتاجه انعكاسا لما خاضه من تجارب وقراءات والتزامه من توجيهات ومن أهم ماينماز به أسلوبه الذي تجلى لنا في ثنايا كتابه (في أفق الأدب) الآتي:

### أولاً: الاستطراد

هي سمة ظاهرة انعكست على أسلوب الدكتور إذ نلحظ تلوّن أسلوبه في المعارض المختلفة، الوعظية، والإرشادية غير المباشرة، والخطابية أحيانا، والاهتمام باللغة، والاستشهاد بالشعر والنثر، والانفتاح الواضح على شتى الأساليب والتقنيات الفنية، ما يعكس صورة صادقة عن تكوينه النفسي والوجداني، والثقافة الواسعة، وما يمتلكه من حافظة قوية تستظهر ما يقرأه أو يسمعه ساعة الحاجة في يسر وسهولة، ومن أنموذجات ذلك قوله: (مضى معجلاً، وهو يتهيأ لبداءة عام دراسي جديد، وينظر في مسودات أثر أدبي له، كان يرجو أن يراه مطبوعاً،... ولابد للحديث عنه أن يتصل، ولكي يتصل، لابدّ أن ترجع به إلى عناصر النشأة والتكوين،... رأى ذلك، وأفاد منه، ونفذ إلى أعماقه واستقر،...)[3] فلا يخفى على القارئ الانتقالات الاسلوبية التي وظّفها الكاتب بنقلات الاستطراد المتصل، والتي لاتنفك عن السياق الذي يوجبها، وهذا ما وسم به الاستطراد لدى الدكتور(سعيد عدنان) وخاصة في مقالاته المتنوعة الموضوعات، والتي تشكّل بحد ذاتها بؤرة الاستطراد لديه، إذ

---

[1]– الجرجاني، عبد القاهر. (1989). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، ص486؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). مقدمة ابن خلدون. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلى، ص570.

[2]– فضل، صلاح. (1999). علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار، ص84؛ مصلوح، سعد. (1992). الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية. ط3. القاهرة: عالم الكتب، ص46.

[3]– المحنة، سعيد عدنان. (2014). في أفق الأدب. بغداد: تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ص65.

تعدّ العنوانات التي أثبتها من أولى سمات هذا الأسلوب إذ تنوعت ما بين حديث عن عالم، أو أديب، أو شاعر، أو شخصية اجتماعية وأساتذة، انتظمت في تجربتهم الاجتماعية في الأدب والحياة، كما وصفهم الدكتور (سعيد عدنان) مستطرداً بقوله: (ولقد أرادت المقالات كلها أن يكون لها نُسغ من الأدب، يجري بين حروفها، وهي تعالج ماعالجت من شؤون، وأن يكون النُسغ لُحمتها وسداها، فإذا كان قد تمّ لها ذلك أو شيء منه، فقد بلغت منها ماأريد)[1].

**ثانياً: السهل الممتنع**

تعدّ التلقائية والسهولة من أهم السمات التي انماز بها أسلوب الدكتور(سعيد عدنان)، وهي ظاهرة أسلوبية انماز بها، وظهرت من خلال انطلاقه على سجيته وطبيعته وتحرره من جميع القيود– سواء أكانت كتابية ام غير كتابية–، فلا يترك على قلمه سلطاناً خارجياً غير ذاته، وغير ما يجول بنفسه من مشاعر وأحاسيس، تحتاج التعبير عنها، فإننا بإزاء شخصية تقف أمام الأدب بنكهة لها عنفوانها وتأثيرها، وتجري مجرى التدفق الطبيعي، وتنفتح فيه سبل القول؛ لتحمل ما يجيش في صدر الكاتب من انفعالات وأحاسيس وأفكار، ولا شك أن للتلقائية والعفوية– لاسيما في مجال السيرة الذاتية على وجه الخصوص والتي ذكرها الدكتور في مقدمة كل مقالة من مقالات هذا الكتاب– قيمة أكبر مما هي عليه في سائر الأجناس الأدبية الأخرى؛ لأن قيمة العمل بمجمله مرهونة أولا، بالقدرة على استبطان الذات والبوح الحي النابض بالإحساس، وأن الكتابة العفوية كالحديث العفوي أشبه ما تكون بحالة اعتراف وبوح دائبين ينظمان العمل من أوله الى آخره، وتغيب فيهما قيود الفن التي تحاصر عملية البوح أو تخنقها، ويغيب فيها سلطان العقل والخوف من الأعراف الاجتماعية غير المقبولة، والتي لا يحترمها الأديب، ولا يقرّ بها[2].

ومن أهم الميزات التي تتعلق بالسهولة الممتنعة والتلقائية والعفوية، إذ إننا من الممكن أن نصنف أسلوب الدكتور(سعيد عدنان) بأنه (سهل ممتنع)؛ فهو سهل من حيث إدراك مضامينه وأفكاره وايحاءاته، ومتعسّر على محاولة محاكاته، والنسج على منواله، فأسلوبه بعيد وقريب في الوقت نفسه، إذ إنه قريب، بحيث لا يعزّ فهمه على الجميع من خاصة وعامة، ولا ينكره الجميع من الخاصة والعامة، وفي الوقت ذاته بعيد وناء عن الابتذار ومن أنموذجات ماذكرناه من مزايا أو سمات قوله: (وقد تقرأ الشعر في مظانه وقد تحفظه ولكنك إذا سمعته ينشده بدا لك من خفي معناه وبعيد مغزاه ما لم يبدُ من قبل، وله من حلاوة الصوت وفصاحة النطق، ما يرتقي بالشعر ويمدّ من آفاقه)[3] وقوله

---

[1]– في أفق الأدب، ص٨.

[2]– الداية، فايز. (1990). جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي (ط. 2). دمشق: دار الفكر، ص52؛ في أفق الأدب، ص90.

[3]– في أفق الأدب، ص٩١.

أيضا:(لم يستخفه مغنم ولم يدنُ به مطمع من زخرف وبقي التقي النقي سيرة عطرة يتفاوح المسك من أطرافها فضلها يتحلى في كل عمل ويتضح في كل شيء)[1]، وقوله: (لكنه لم يستطع أن يبرئ نفسه من عقابيل الحب الفاشل الذي كان وبقيت أشياء من ندم قديم تقتحم عليه يقظته وأحلامه وتأخذ في لومه فيقول: هذا القلب بريء لم يشهد زورا لكن شهدوا بالزور عليه)[2].

إذ نلحظ هنا سهولة الأسلوب فيما يخص المفردات والتراكيب ففي جانب المفردات نجد(الدكتور سعيد) يميل إلى اختيار المألوف منها، وينتخبها وفق دواعي التعبير من لغته العربية، وما اتصل بإدراك الناس من مفردات شائعة مستعملة، ولكنه يعود ليسبكها سبك خاص، فينفخ فيها من روحه، فإذا هي خلق جديد– إن يصح لنا أن نعبر ونصف، وتلك هي شخصية الكاتب وحياته التي تنقى بالأسلوب، بعيداً عن الألفة والاعتباط، والأمر نفسه يقال عن التراكيب، فهي تراكيب واضحة لا معاضلة فيها ولا تعقيب، تجود بالمعنى الذي تحمله من أول وهلة، وتتدفق خلالها الكلمات وفق تدفق المعنى في نفس الكاتب، ولا تكون التراكيب واضحة إلا إذا تكونت من مفردات دقيقة في معناها، ثم ركب بعضها بجوار بعض تركيباً ترضى عنه قواعد اللغة، ولم يشتد اتصال بعضها ببعض اشتدادا وثيقاً، يؤدي إلى تداخل العبارة، وطول العلاقات، فيستغلق المعنى.

و (سعيد عدنان) لا يرى الأدب في إظهار المقدرة اللغوية، وحشد المفردات بعرض الثروة المكنونة في صدره، والتي تصيّدها من معاجم اللغة وغريب الكلام، أو تسربت إليه من طول معاشرته للكتب، لكنه يرى الأدب تعبير عن التجربة بما جاد به الخاطر، وسمحت به النفس، وهذا هو ما انتهى إليه رأيه في مقالاته جميعاً، إن لم يكن أغلبها، ومن أنموذجات ذلك تعريفه للأسطورة، ومعناها، إذ قال: (أقول إذا كان معنى الأسطورة يرد في المعجمات العربية على هذا النحو مما يجعلها أكاذيب وأباطيل تنأى عن الحق والصواب فذلك؛ لأن هذه المعجمات وضعت في عصر يهيمن عليه النهج العقلي في المعرفة من حيث ترابط العلّي وانفصال الذات العارفة عن موضوع المعرفة، وكان العقل قد حارب الأسطورة ورماها بانها أكاذيب لا نصيب للحق فيها، وكانت الثقافة اليونانية ميدان تلك المحاربة، ولعل الفيلسوف أفلاطون كان أقوى أولئك المحاربين الذين حاولوا أن يقصوا الأسطورة ويؤسسوا النهج العقل المنطقي الذي كتب له أن يسود الفكر البشري قرونا متطاولة)[3].

ثم يعلل رفضه لهذه التعريفات بقوله:(لقد أعادت الدراسات النظر في الأسطورة فإذا بها مستودع فكر قديم كان يسعى أن يفهم ما يحيط به وأن يحسن معالجته بنحو ما، ولكن كنه الأسطورة

[1]– في أفق الأدب، ص١٤٩.
[2]– في أفق الأدب، ص١٩٩–٢٠٠.
[3]– في أفق الأدب، ص٢٠٠.

لم يتضح وبقي مراوغا لا يكاد يستقر على أبعاد ثابتة)[1]، حتى يصل إلى القول: (إن الأسطورة ضرب من الشعر يسمو على الشعر بإعلانه عن حقيقة ما، ضرب من التعليل العقلي يسمو على التعليل بأنه يبغي إحداث الحقيقة التي يعلن عنها، ضرب من الفعل، أو الملكة المراسيمية، لا يجد تحقيقه بالفعل نفسه، ولكن عليه أن يعلن ويوسع شكلا شعرياً من أشكال الحقيقة)[2].

والذي نلحظه أن هذا لا يمنع أن تأتي بعض المفردات غريبةً غير معروفة أو مفهومة للعامة ضمن نسيجها اللغوي، ولكنها معروفة لدى الخاصة من المثقفين، ولعل ذلك؛ لأن الكاتب يحرص على تفسيرها مباشرة في السياق، حتى تدخل الكلمة بدلالتها إلى ذهن القارئ، فتكون أدعى إلى أن تعلق بذاكرته، وتجري في استعماله اللغوي. فهذه الكلمات قد تكون غريبة بالنسبة للعامة، وبالنسبة إلى السياق الذي وجدت فيه، ولكنها قد لا تخفى على المثقف العادي المتخصص، وربما عُدَّت هذه الكلمات، في سياق لغوي غير هذا السياق، ألفاظًا لا غرابة فيها، فلكل مقام مقال، ولكل أديب ما يناسبه من ألفاظ وتعبيرات. وعلى الإجمال، فإن السهولة ظاهرة عامة تميز بها أسلوب الدكتور (سعيد عدنان)، سواء في كتابه هذا أو في كتبه التي اطلعنا عليها؛ إذ لا تقف عند الألفاظ والتراكيب فحسب، ولكنها أمر ملحوظ من حيث المعالجة والتناول للقضايا الفكرية والعلمية، التي استطاع الكاتب أن يتأتى بها من أسهل السبل وأقربها، فيزيل ما يلفها من غموض وضبابية، فتسهل على القارئ العادي، ولو لم يكن من أصحاب الاختصاص.

**ثالثاً: وضوح التعبير**

الذي نلحظه أن هذا لا يمنع أن تأتي بعض المفردات غريبةً، غير معروفة أو مفهومة للعامة، ضمن نسيجها اللغوي، ولكنها معروفة لدى الخاصة من المثقفين، ولعل ذلك؛ لأن الكاتب يحرص على تفسيرها مباشرة في السياق، حتى تدخل الكلمة بدلالتها إلى ذهن القارئ، فتكون أدعى إلى أن تعلق بذاكرته، وتجري في استعماله اللغوي. فهذه الكلمات قد تكون غريبة بالنسبة إلى العامة، وبالنسبة إلى السياق الذي وُجدت فيه، ولكنها قد لا تخفى على المثقف العادي المتخصص، وربما عُدَّت هذه الكلمات، في سياق لغوي غير هذا السياق، ألفاظًا لا غرابة فيها، فلكل مقام مقال، ولكل أديب ما يناسبه من ألفاظ وتعبيرات. وعلى الإجمال، فإن السهولة ظاهرة عامة تميز بها أسلوب الدكتور (سعيد عدنان)، سواء في كتابه هذا أو في كتبه التي اطلعنا عليها؛ إذ لا تقف عند الألفاظ والتراكيب فحسب، ولكنها أمر ملحوظ من حيث المعالجة والتناول للقضايا الفكرية والعلمية، التي استطاع الكاتب أن

[1]– في أفق الأدب، ص٢٠١.

[2]– المقدسي، أنيس (1990): الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، ص٥٧٠.

يتأتى بها من أسهل السبل وأقربها، فيزيل ما يلفها من غموض وضبابية، فتسهل على القارئ العادي، ولو لم يكن من أصحاب الاختصاص[1].

والذي نراه أن عذوبة التعبير عند (سعيد عدنان) موهبة خاصة، تستحق الوقوف عندها، وتأملها، وتعود فيما نحسب إلى شخصيته وتكوينها، قبل أن تكون وصفاً في ألفاظه وتراكيبه، ومن أنموذجات ذلك قوله: (هو مأخوذ بها، مفتول بحجارتها، فتنته بمائها، وسمائها، وكل ما فيها يصل إليه محمولاً على سرر لا منتهى لجمالها، يمتزج في صورتها عنده الواقع بالخيال، وينسجان كياناً يظل يتراءى له على أنحاء شتى)[2] وقوله: (وكان حقّ المدينة أن يتهيأ لها من يزيل الغبار عن وجهها، وأن يرى روحها الحيّة وهي تتدفق في جارتها، وشجرها، وأزقتها، وعيون أطفالها، وفي سمائها أيضا، وليس ذلك سهلاً ميسوراً، فلابد من عينين تريان مواقع الضوء والظل، وتحسنان اقتفاء مساربهما، وتريان تحولات اللون بين الحجر والشجر، ولابد من سمع رهيف يلتقط حكاية النبع، وهو يتفجر من بين الصخر، ويصغي إلى همس التاريخ ونجواه، وهو يجري بين تدفّق وتعثّر، ولابد من روح يلتقي إيقاعها بإيقاع روح المدينة، وينفذ إليها الخفي منه، ولابدّ من قلم مبين يجلو ذلك، ويسكنه نظيره من اللفظ)[3].

**رابعا: التواصل الأسلوبي بين التراث والمعاصرة**

مما يلحظ على أسلوب (سعيد عدنان) أن أسلوبه شبيه بحلقة الوصل بين أساليب القدماء، والتعبيرات المعاصرة؛ إذ جمع بينهما بعفوية غير مقصودة نابعة من نتاج فكره، وإعمال ذهنه، إذ إنه عمد إلى توظيف أساليب القدماء، دون قصد، فقد انسابت هذه الأساليب في كلامه بأقوال للعرب وأشعارهم فيما يحتاجه السياق من استشهاد، إذ نلحظ أن الدكتور كثيراً ما يصب معانيه في قوالب أدبية محفوظة، وسائرة على نهج القدماء، ولا يكاد ينفك عنها إلا بما يتطلبه الموقف، ولعل هذا متأتٍ من ثقافته وولعه بالأدب قديما وحديثا، وإدامته على المطالعة لأساليب الأوائل وتعابيرهم، ومن ذلك قوله: (وقد ينشد بعضه لأمر ما فيزيد في معناه معنى نافضاً عنه غبار الزمن، متسعا في دلالته، وقد تقرأ الشعر في مظانه وقد تحفظه ولكنك إذا سمعته ينشده بدا لك من خفي معناه وبعيد مغزاه ما لم يبدُ من قبل، وله من حلاوة الصوت، وفصاحة النطق، ما يرتقي بالشعر، ويمدّ من آفاقه)[4]، وكذلك قوله: (ألهمه بيته حبّ الحقيقة، فصار طبعا فيه يأتيه طواعية من دون أية مجاهدة، وينبثق منه وينسجم معه حبّ الخير، يصنعه ولا يرجو جوازيه ويلقى به القريب والبعيد، ويحبّ الناس غير

[1]– في أفق الأدب، ص١١٥.
[2]– في أفق الأدب، ص ١١.
[3]– في أفق الأدب، ص٩٠.
[4]– في أفق الأدب، ص٩١.

زاهد بما رغب فيه، وبألم شديد الألم، إذ يصيب إنساناً أذى، ويعلم إذا يتردى امرؤ فيما هو دجل أو نفاق، ويزداد المصانع المدائن، الذي يتخذ العوج مسلكا)[1] ونحسب أن التأثر بتعبيرات القدماء أو اللغة الموروثة بالأصح لا يضير الكاتب شيئاً ما بقي محتفظا بذاته، وهذا من ما انماز به (سعيد عدنان) إذ بقى منماز بشخصيته الأسلوبية عن غيره، كما أن استخدامه للغة الموروثة عن القدامى وتراكيبهم أضفى على مقالاته روحاً اصطبغت بالجزالة، وجلال المعنى، وبخاصة في عصرنا الحالي الذي طغت فيه الأساليب الصحفية الركيكة، ومن وجهة أخرى، فقد أفسح الدكتور (سعيد عدنان) لتعبيراته الجارية على لسانه المجال لأن يكون للتعبيرات المعاصرة حضوراً واضحاً وواسعاً في كتاباته، فمتى ما رأى أن اللغة العربية تتسع لها ولا تنكرها، وظّفها بما يحتاجه المعنى، ومن ذلك قوله معقبًا على النص الآتي[2]:

**تزدحم الخضرة في رباه**

**وتنتهي الأوهام في رؤاه**

**أرجوحة من القمر**

**تحمل بالهمس الرفيف للزهر**

**تنشأ للزغب بتحليق صور**

إذ يقول: (وللقارئ أن يلحظ ملمحاً رومانتيكياً في (الخضرة المزدحمة) و(أرجوحة من القمر) و(رفيف الزهر) وكأن الشاعر قصد إليها قصداً غير أن سياق الشعر يجعل لها معنى آخر يتصل بما ترمز إليه من حياة حرة راقية)[3] ومن أجل تلك الحياة فإن الشاعر[4]:

**ينسج من أيامه الجهيدة**

**شوامخ الذرى لبيته الكبير**

**فدوحة العمر تصارع الهجير**

**لتخفق الأجنحة الجديدة**

---

[1]– في أفق الأدب، ص٩١.

[2]– في أفق الأدب:١٠٩.

[3]– في أفق الأدب، ص١٠٩

[4]– في أفق الأدب: ١٠٩.

ويعقب قائلاً: (فالصور تتآزر ملتحمة يدعو بعضها بعضا حتى تخفق (أجنحة جديدة) هي رمز الحياة المتجددة وسمة الغد الذي يسعى إليه الشاعر، وإذا (هوى طير فتبقى الملايين)[1].

إذ نلحظ في سياق ما ذكره الدكتور عنصر التضمين وفقاً للتأويل الذي يبتغيه، وهذا من الأساليب الحداثوية القديمة المتصلة، ومن مواضع حداثة التعبير التي وظّفها (سعيد عدنان) قوله: (ولا يكتب إذا كتب إلا في ميدان جديد لم تستنزفه الأقلام، كان ذلك يوم كتب لشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد، وظهور الغزالي، ولم يكن الشعر الصوفي يومئذ قد تناوله الدارسون بالنظر والبحث)[2] وقوله مسترسلاً(وكذلك كان لما نظر في لغة الشعب إذ هي عنده ليست ألفاظاً مجردة بل هي صورة فكر موصول بأوثق صلة بواقع مجتمع، والجزء لا يدرك الإدراك الصحيح ما لم يوضع في إطاره المتكامل)[3].

**خامسا: جزالة المعاني والأفكار ووضوحها**

ممّا يلحظ على أسلوب الدكتور(سعيد عدنان) بسطه المعاني والأفكار وفق مبدأ لكل مقام مقال فقد يطنب في مواضع وقد يوجز في مواضع أخرى، إذ وجدناه في العديد من المواضع يكسو أسلوبه بثياب سابغة من الألفاظ تزيد عن حاجة الموضوع نفسه لغايه مقصودة، وما ذاك إلا ليزيد خطابه قبولا واستحسانا وإيصالاً للمعنى الذي يبتغيه، فهو يساعد القارئ مشغول الذهن على الإحاطة بالمعنى من كثرة تردده حتى يقرّه في الذهن، على أن ذلك كله محسوب إذ إن الإطناب لديه أيسر من الإيجاز لا سيما وأن مقالاته أشبه بمن يرتجل الحديث، فهو لا يجتمع ليكتب ذكريات بل يسير بها كما يسير به القلم بعفوية متناهية، والإيجاز لا يتأتى إلا لمن جمع فكره وأحاط بما يريد قوله، وهذا كلّه وجدناه في مباني مقالاته المتعددة، ومنها على سبيل التمثيل لا الإحاطة، قوله: (وإذا كان من أترابه من اكتفى بهذا الزاد الثقافي القديم ووقف عنده فإن فرج الله أشرع نوافذه لروح العصر حتى تشربها فكراً وشعراً، وصارت الحياة عنده في كل مناحيها قائمة على الحركة والتحول، فليس لشأن من شؤونها ثبات ولا يختلف الشعر عن ذلك بل هو في الصميم منه فلا بد للتقليد في موضوعات الشعر وصياغته من أن ينجلي وهو في ذلك يلتقي مع نفر من الشعراء بعضهم سبقه كالشرقي الجواهري، وبعضهم من لداته كالوائلي الجعفري، ولقد كان مما هيأ له أن يتحرر من إسار التقليد، فكر يريه مجرى الحياة واضح المعالم وينير له أجزائها ويهيئ له موقفاً منها ينسجم معه ويصدر عنه بحيث لم يجرِ لديه فكر على شعر وإنما كان الفكر فيه نسغ حياة وعنصر إضاءة وداعية تماسك كانت (المناسبة) تملي على أكثر الشعراء في مطالع القرن العشرين قصائدهم وتجعل الشاعر أسير الأحداث، كل طماحه

[1]– في أفق الأدب: ص90.
[2]– في أفق الأدب، ص90.
[3]– في أفق الأدب، ص103–105.

أن يصفها ويغرق في تفصيلاتها على أنه لن يفض به اتخاذ الإيحاء وسيلة إلى التعمية وغياب المعنى، واضطرابه، فلقد كان له في شعره رسالة يريد أن يؤديها، ومن مكملات أدائها عنده ألا تكون عارية، بل تمامها أن تكون غزيرة المعنى ذات أبعاد ومناحي)[1]، إذ نلحظ هنا استرسال (سعيد عدنان) بالحديث عن الشاعر (مرتضى فرج الله) مطنبًا لغاية في نفسه وهي بيان موروث هذا الشاعر ونتاجه وأحقيته بالذكر، فكان إطنابه على درجة كبيرة من الأحقية، فهو لا يطنب إلا بما يستحق وهذا ما نلحظه في ختامه لوصف هذا الشاعر وكأنه يريد أن يكون قدوة لغيره إذ يقول: (ومن أراد أن يكون الشعر إيحاء جعل الصورة مبتغاه، وسعى إليها بانياً شعره على أطرافها مبتعداً عن الصور المألوفة التي طال تكرارها في الشعر مقترباً من الصورة التي تتسع وتتشابك عناصرها على نحو فريد، ينهض دليلاً على أصالة شاعرها ويلتقي مبدأ الإيحاء بأداته الصورة؛ ليعربا عن تجربة طويلة في الحياة، وفي الشعر ظلت تعتمل في حنايا الشاعر وتصطرع عناصرها في ما يكتنفها من خير وشر وفي ما يغلب عليها من عنصر جماعي حيناً وعنصر فردي حيناً آخر، وهو على كل حال حسن الصبر عليها لا يعاجلها بالتعبير حتى تكتمل وتأخذ مداها في الذي لها والذي عليها، فإذا رضيها انسربت من خلال الصورة الموحية فلا غرو إن لم يكن فرج الله من المكثرين إذ القصيدة لديه تجربة لها أعماق وآفاق وليس سهلا أن تنضج في كل يوم تجربة ولو أنه أراد النظم وإعادة الكلام على غير تجربة أصيلة لفعل وأكثر ولكنه محكوم بمفهوم للشعر صحيح راقٍ)[2]، وعلى النقيض من هذا نجده موجزا إيجازاً غير مخلّ إذ اعتمد على الشرح المكتمل المعنى بوصف أداة الإيجاز إذ قال: (فإذا أبان الشاعر عن كرهه الذبول وسأمه الخطى العابثة وهذه خلاصة فكرة جاء بأمثولات على الذبول الذي يدب في الحياة، وعلى الخطى الضائعة العابثة فكم شهد في حياته من حالات الذبول والخطى العابثة لكنه استقطرها واستصفاها في بضع أمثولات فصيحة مبينة يلتمع الفكر في ثناياها، تغتذي القصيدة لديه بالصراع بين (الذبول) وما يتصل به ويتفرع عنه من (خطى عابثة) وضياع معنى الحياة، وبين الندى المرجو، والضحى اليقظ وما يلتقي معهما)[3].

ففي هذا الوصف نجد إيجازا واضحا واضحً للصفات التي أراد الدكتور (سعيد عدنان) بيانها عن الشاعر أو المقصود بالوصف. واسترسل قائلاً: (وتنمو القصيدة على وقع هذا الصراع وليس الشاعر ساذجا فيختم القصيدة (بالضحى اليقظ) وليس هو بالمتشائم الخائر القوى حتى يرى غلبة الذبول وضياع المعنى ولكنه شاعر بصير يرى جوهر الحياة في هذا الاصطراع ويلتمسه سراً كاملاً وراء الملامح ولكي يمسك بأطراف من هذا السر الخفي)[4] إذ بهذا الوصف استطاع الدكتور (سعيد

[1]– في أفق الأدب، ص105–106.
[2]– في أفق الأدب، ص107–108.
[3]– في أفق الأدب، ص108.
[4]– الجاحظ. (1998). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. ط2. بيروت: دار الجيل، ج3، ص314.

عدنان) إيصال الفكرة إلى المتلقي، وإيصال ما يريد أن يقوله عن هذا الشاعر عن طريق وصفه المجمل الموجز، ولا يتأتى هذا الأسلوب إلا من شخصية مقتدرة قادرة على إعمال الذهن وإخضاعه إلى المعنى المراد.

## المطلب الثاني: السمات الأسلوبية الخاصة بـ (لغة الدكتور سعيد عدنان)

من المؤكد أن العناية باللغة لازمة من لوازم الاديب والناقد والشاعر وهلم جرا بعدها الوسيلة المؤثرة والمعبرة لما يجول في خواطر النفوس وهي الوسيط الذي ينقل من خلاله أفكاره ومعانيه إلى الناس، ويمكن رصد هذه العناية عند الدكتور عدنان المحنة عن طريق محورين أساسيين؛ وفقا لما تبدى لنا في كتابه محور الدراسة (في أفق الأدب).

**أولا: التعبيري:**

والذي نريد به موافقة اللغة للموقف والمعنى فالدكتور (سعيد عدنان)، وبرغم انطلاقه على سجيته في الكتابة دون احتشاد أو تكلّف إلا أن هذه السجية سجية النفس المطبوعة التي تتذوق الكلمة وتحسّ بها، وتحسن التعامل معها، كما يتعامل الفنان مع ألوانه، وبالتالي فهي تمارس في عفوية وسليقة الانتقاء الدقيق للكلمة من بين عدد كبير من الألفاظ التي يحسبها الناس من قبيل المترادفات التي لا تفاوت بينها، وهي في الحقيقة آية من آيات الإعجاز اللغوي في اللغة العربية؛ ذلك أن هذه الظاهرة ما هي إلا أثر من آثار مراعاة دقيق الفروق بين الحاجات الإنسانية عند التعبير، فمثلاً قوله واصفاً (عبد الأمير الورد): (لكنه وجد الأرض تضيق به، وسبل العيش تلتوي عليه فلا يحسن التأتي لها، ووقع عليه ما وقع على العراقيين من بلوى أخذت تشتد، حتى كأن لا محيص عنها، فاغترب، واضطرب في الأرض، وأخذت منه الغربة مأخذاً كبيراً، وتقاذفته البلدان حتى إذا آب إلى موطنه كان مهيض الجناح، واهي القوى لم تلبث رحمة الله أن استأثرت به في سنه 2007 فانطوت صفحة كانت خليقةً أن يسطع ضياؤها)[1]، فلو تأملنا جيدا هذه الكلمات (تضيق، تلتوي، تشتد، لا محيص، تقاذفته، البلدان، حتى إذا آب، كان مهيض الجناح، أن استأثرت به، كانت خليقةً، أن يسطع ضياؤها)، نجدها جاءت إلى هذا السياق وفي هذا الموقف بالذات كما اتفق، ولا نظن أن هناك لفظ يقوم مقام هذه الألفاظ أو يكون رديفاً لها مهما كان متصل بها؛ لأن إيحاءها وعالمها الذي تخلعه على السياق لا نشعر به إلا من خلالها، فلا يمكن أن نشعر بحرارة اللهفة، وصدق الرغبة ونزعة الحنين والتألم على هذا العالم، بهكذا وصف دقيق إلا من خلال هذه الكلمات حتى لأنها قادرة على رسم مشهد في مخيلة القارئ، وتثبت لنا إنهالا يمكن أن تتأتى إلا من خلال عالم بالأسلوب، دقيق الانتقاء لألفاظه، ورسم

[1]– الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد. (1976). بيان إعجاز القرآن. ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف، ص48.

تعابير لغته من دون شك، فهي ألفاظ موافقه للمعنى أدق موافقة بحيث لا تقوم مقامها كلمة أخرى رديفة لها، كما بيّنا مسبقاً،

ومن مصاديق ذلك أيضًا قوله في وصف (جميل سعيد): (وربما دفعت مواقفُ، كتلك المواقف، إلى أن يزعم زاعمٌ أن فيه شدةً كأنها قسوة، أو أن فيه تسلطًا واستبدادًا بالرأي، وليس من ذلك شيءٌ عند من يقرأ الوقائع بالمقاصد، ويرى الغايات في الأفعال! وربَّ آخرَ يراه أنيسًا لينَ الجانب، إذا جرى الأمر الأكاديمي على ما ينبغي له أن يجري عليه. ولقد شهدته، وهو في أوائل شيخوخته، سنةَ 1977، يدخل قاعة الدرس وقورَ الهيئة، أنيقَ الملبس، قد أحسن المواءمة بين ثيابه، حتى كأنها نسيجٌ واحدٌ)[1].

ويستطرد قائلا: (وربما خرج به الحديث المستطرد عما هو فيه من شأن الى ما هو بسبب منه فأفاض فيه، ولا تتذكر كيف جرى الحديث يوما)[2].

وقوله: (وكان على وثاقة حفظه يستعين بجزازات على أداء درسه، وكأنه يريد بذلك أن يوصل إلى الطلبة الأفكار النقدية بألفاظها التي صيغت بها، وأن يشركهم بمعالجتها والاهتداء الى خبيآتها، فليس صواباً أن يحجب عنهم النصوص بما فهم منها، وما تهيأ له فيها من تأويل!!)[3] ويقول مستطرداً (لكنك معه لا تشكو من وعثاء السفر أو سوء المقلب، بل ترجع بزاد وفير من المعرفة والمتعة)[4].

ولو أمعنا النظر في الألفاظ التي استظهرها واستنطقها الدكتور (سعيد عدنان) من مثل (خبيآتها، ما تهيأ من تأويل، وعثاء، منقلب، زاد متعة) وغيرها من الألفاظ التي ذكرناها، وسألنا أنفسنا، هل جاء التعبير اتفاقا أم جاء تعمداً اختياراً؟ وما الفرق بينهما؟

والذي نراه أن هناك قصدية واضحة في التعبير، والتوظيف، فإن التعبير جاء باستعمال دقيق عن قصد الانتقاء وليس لمجرد الذكر فهذه الألفاظ تصطحب في معيتها دلالات خاصة بها، وتدلّ على تغلغلها في السياق وإلى توصلها إلى المكان الخفي للقارئ من دون أن يكون في ذلك تكلّف؛ لأنه نابع من سجية لكاتب مثقف وواعٍ لما يقول.

---

[1]– ابن الأثير، ضياء الدين. (1939). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق وتعليق: أحمد الوفي، وبدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر، ج3، ص12؛ الكرماني، محمود بن حمزة. (2014). أسرار التكرار في القرآن الكريم. تحقيق: أحمد عطا. ط1. دمشق: دار الاعتصام للنشر والتوزيع، ج1، ص332.

[2]– في أفق الأدب، ص٨٩.

[3]– في أفق الأدب، ص٨٩–٩٠.

[4]– في أفق الأدب، ص١٠٧.

ومن مظاهر الدقة التعبيرية مواءمةُ التعبير اللفظي للمعنى في القوة والضعف، والشدة واللين، فنجد أسلوب الدكتور (سعيد عدنان) هادئًا مطمئنًا تارة، وتارةً عاطفيًا نابضًا بالحزن والألم، أو الفرح والشوق، وتارةً أخرى يأتي عنيفًا منفعلًا، يتفلت تفلتًا من قيود الاتزان، وتعدو ألفاظه في إثر بعضها عدوًا، وتتدافع جمله وتراكيبه في السياق، حتى لكأننا نسمع أثر الانفعال جلبةَ صوتٍ. وهذه المواءمة بين اللغة والمعنى، أو الموقف أو الحال، تُحسب للكاتب؛ لأنها تعينه على تجسيد ما يكتنفه من المشاعر والأحاسيس في إطار لغوي متشابه. ومن ذلك قوله في (عبد الأمير الورد): (كان غريبًا في قسم اللغة العربية، لا يستطيع أن يألف كثيرًا ممن فيه، ولا يستطيعون أن يتقبلوا ما هو عليه، وربما تهاون به بعضهم ممن لا يمتلك معشار ما لديه من موهبةٍ وعلم، وكان يصفح عن ذلك صفحًا جميلًا، ولا يصغي إلى وقعه، وكأنه لا يسمع إلا هاجس نفسه وما تحدثه به، ولا يريد أن يخوض فيما يخوض فيه الآخرون)[1].

ويستطرد قائلاً بأسلوب ملؤه الشجون والتحسر: (كان من النحو بمكان لكنه قل ما يُعدّ إذا عُدّ النحاة، فكأن ثمة من يريد أن يقصيه من حيّز النحو إلى شأن آخر فيقول قائل: إنه شاعر، وإنه لذلك شاعر من طبقة رفيعة، وقلّ أن يلتقي النحو بالشعر كما التقيا لديه، والعهد أن يجور علم النحو على الشعر ويقصّ من جناحيه إذا التقيا في كيان واحد لكنهما عنده وجد كلّ من صاحبه مدداً ومؤازرة حتى ارتفع معاً)[2].

وربّ عائق يمنع التدفق ويحجز بعض ماء النهر وربما وجد النهر مسارب أخرى، وهو على شاعريته قلّ من وقف عنده وقلّما عدّه إذا ما عدّ الشعراء، وكأنما ثمت من يريد أن يقصيه عن الشعر، ويتهاون بشأنه وكأنه لا يحرص على الصدارة فيه.

ومما يلحظ على أسلوب الدكتور (سعيد عدنان) قلة توظيفه لحروف العطف،؛ وذلك لإدراكه اتصال كلامه بعضه ببعض، فحروف العطف إنما يؤتى بها لأداء وظيفة مهمة تكمن في ربط الجمل وإحكام اتصالها ببعضها، لكن هذه الوظيفة تمسي لا حاجة إليها حين يشتد اتصال الكلام بعضه ببعض، بل ربما أدى استعمالها إلى برود التعبير، وإضعاف التأثير وهو ما اعتمده الدكتور (سعيد عدنان) في توظيفه لها، ويعدّ هذا الأمر ملمحاً من مظاهر من الدقة التعبيرية عنده؛ لأنه صورة لتداعي المعاني إلى الذهن بحيث لا تدع فرصة للفصل بينها بحروف العطف، ونجد الكاتب يركز على الفاصلة، حين يهمل حروف العطف؛ لتقوم مقام الحرف في التمييز بين الجمل دون أن يقطع اتصالها ذهنيا أو نطقياً.

---

[1]– في أفق الأدب، ص ٨٩.

[2]– في أفق الأدب، ص ٩١.

**1- ثانيا: الدقة اللغوية**

يتضح في هذا المحور حرص (سعيد عدنان) على استعمال الفصحى لغة للسرد وللحوار في عموم المقالات التي ذكرها في كتابه (في أفق الأدب) إذ لا يكاد يتنكب سبيلها إلا في أضيق الحدود حين لا يجد أمامه حيلة، فيستعمل ما يحتاج إليه من اللهجات العامية أو اللغات الأجنبية الأعجمية مثل: الحكاية عن الغير أو التعبير عن المسمى المشهور بين الناس بغير اللفظ الفصيح أو للأمانة في نقل الواقع ومحاكاته الدقيقة لغرض فني كالاستشهاد بالتعبيرات أو الشخصيات أو الصفات التي تعبر عن ثقافة العصر.

ويعد (سعيد عدنان) من الكتّاب الذين يعتنون بتشكيل لغتهم الفصحى تشكيلًا سلسًا جذابًا موحيًا، يمكّنه من التسلل إلى أخفى المواقع والمشاعر والانفعالات، ووصفها أدقّ وصف، والتعبير عنها بكل اقتدار، بحيث لا يشعر القارئ معها بفجوة بين المستويين (الواقعي) و(اللغوي)، ولكنه حين يحاكم لغة العمل إلى المعاجم وقواعد اللغة يجدها لغةً فصحى في ألفاظها وعلاقاتها، لا تشوبها شائبة، ولا يعكر صفوها ضحالة. وتبقى اللغة الفصحى، على مرِّ الأزمان، هي اللغة الأم المعروفة للجميع، التي يستطيع الجميع أن يصل بها ويتواصل من خلالها، وبالتالي فهي اللغة الأحق بالاستعمال؛ لأنها تخترق حواجز المكان، وتطوي آفاق الزمان طيًا، وتحمل رسالة الأديب في وضوح وجمال.

والفصحى المستعملة في أسلوب (سعيد عدنان) في كتابه هذا من جنس ما يشيع استعماله في وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة والمرئية، لولا مسحة من شاعرية تتلبسها بين الفنية والأخرى، ودفقات عاطفية تسري خلالها، فتحييها، فتغدو لغةً تغذي الوجدان بأنبل العواطف وأشجاها، وتتحف العقل في آنٍ واحد، ولا تثريب عليه في ذلك ما دام لم يخرج عن دائرتها الواسعة. والدكتور، في اهتمامه باللغة الفصحى القريبة من الناس والملتصقة بمظاهر حياتهم، لا يشغله أمر الابتعاد بها عن المبتذل المرذول، والساقط من الألفاظ، الذي فقد بريقه لكثرة ما لاكته الأفواه واستعمله الكتّاب، ولكن –وهو المقصود هنا– ينأى بها عن مواطن الفساد والضعف وخلاف الأولى في اللغة لفظًا ودلالةً ونحوًا وصرفًا؛ لذلك جاءت لغته سليمة من العيوب إلى حدٍّ كبير، قويةً في علاقاتها، متينةً دقيقةً، وقد أفاد من خبرته ودرايته الواسعة بقواعد اللغة وإلمامه بخصائص بنائها وتركيبها (الصرف والاشتقاق)، دون أن يظهر على لغته أثر من آثار الجمود والصلابة، أو الغلظة، والتجهم. ولا نستطيع، بحق، أن نحصي مظاهر الدقة اللغوية في أسلوب (سعيد عدنان)، ولكننا حاولنا أن نلمَّ بأطرافها، ونترك للقارئ فهمها وفق حداقته ومرجعياته الثقافية العامة. ومن أمثلة ما ذكرنا، على سبيل التمثل لا الحصر، قوله في ماهية الثقافة الأدبية: (إن الثقافة الأدبية منبثق القيم الإنسانية، وهي مجلى الروح في التعبير عن الحق والخير والجمال، وهي القادرة على رسم معالم الطريق، ومن دونها

تفقد الحركة اتجاهها، وهي، على ذلك، لا غنى للثقافة العلمية عنها، كما لا غنى لها عن الثقافة العلمية)[1].

وقوله في مقاله الذي أسماه ب(التقاليد الجامعية) والذي تتضح فيه شخصية الدكتور (سعيد عدنان) المقوّم والموّجه المجتمعي، إذ يقول: (وطريق الجامعة إلى رقيها أن يستقل نهجها عما سواها، وأن تنبثق القيم التي تحكمها، منها، وأن لا يُفرض عليها شيء يخالف طبيعتها، وأن ينغمس أبناؤها في روحها، وليس ذلك أمراً يسيراً بعدما لحق ببنائها بفعل السياسة الجائرة عن قصد السبيل ما أوهن البناء، وأدخل إلى الكيان ما ليس منه)[2].

ومن أنموذجات الديباجة السلسة التي جاءت بلغة آسرة قوله: (وذلك وعي بمجرى الحياة عزيز النظير في شعر معاصريه فإذا جاء على صياغة فنية عالية لا تشكو افتعالاً ولا تقع في شراك المباشرة والتقرير كان شعراً فذاً فريداً في شعرنا المعاصر كله، التقى فيه الفن والفكر وانسجما على خير ما يلتقي فن بفكر)[3].

ومن أنموذجات لغته الموجّهة والمقوّمة قوله: (ومن أراد أن يكون الشعر إيحاء جعل الصورة مبتغاه وسعى إليها بانياً شعره على أطرافها مبتعداً عن الصور المألوفة التي طال تكرارها في الشعر)[4].

## الخاتمة:

تمثل هذه الدراسة الفنية محاولةً لقراءة السمات الأسلوبية التي تميز بها الدكتور سعيد عدنان المحنة وتحليلها، بما يسهم في إلقاء الضوء على جوانب من نتاجه الأدبي والنقدي. وقد أظهر هذا النتاج ثراءً في معالمه الفنية وقيمه الجمالية، إذ تشكّل في ضوء وعي واضح بالبيئة الأدبية، واستلهام متوازن للتراث الفني العربي في أبعاده المتجددة.

ومن أهم النتائج التي استبانت لنا وانتهينا عندها الآتي:

1- انمازت لغة (سعيد عدنان) بجزالتها، فجاءت أصيلة في تعبيرها، سليمة في استعمالها وتوظيفها، نابعة من التربة الخصبة للتراث الأدبي، فيها من العروبة بياناً وذوقاً، وتنظيماً وعرفاً أكثر مما فيها من مفاهيم النقد والأدب، التداخل الموضوعي.

---

[1]- في أفق الأدب، ص٩٢.

[2]- في أفق الأدب، ص٨٨.

[3]- في أفق الأدب، ص٥٢.

[4]- في أفق الأدب، ص٥٣.

2- شغل الاستطراد في أسلوب (سعيد عدنان) مساحة واسعة وانماز كأداة جمالية وتطريزية في توظيفه على العكس ممن يعدّوه عيباً يقلل من جمالية العمل، إذ جاء على عكس ماهيته في الخروج عن الموضوع بل كان أداة للدخول إلى النص، ولعل ذلك – فيما يراه الباحث- جاء بقصدية من قبل الدكتور (سعيد عدنان)، وإحساسه الضاغط بوجود القارئ واستحضاره في وعيه أثناء الكتابة.

3- انماز أسلوب (سعيد عدنان) بالتلقائية والعفوية، وهذه السمة تتفق مع رؤيته الأدبية والنقدية فهو يفضل ما كتب على السجية، وابتعد عن التكلف؛ لذا جاء أسلوبه سهلًا ممتعاً؛ لأنه قريب لا يعز فهمه على الخاصة والعامة، بعيداً عن النمطية والابتذال.

4- اتضحت السهولة في أسلوبه من خلال ثلاثة أبعاد هي: الألفاظ، والتراكيب، وحسن المعالجة للقضايا التي احتوت الكتاب، كما جاء الأسلوب مرسل متوازن مع ما يمليه الموضوع من طول الجمل أو قصرها.

5- حرص الكاتب على العناية باللغة وسلامتها وموافقتها للمعنى والموقف، فجاءت خالية من العيوب إلى حدّ كبير ناطقة بالفصحى، قائمة على السرد والحوار، غنية بالأساليب البديعية والبيانية المائزة.

**التوصيات:**

1- ضرورة إلقاء الضوء على نتاج الدكتور سعيد عدنان المحنة لما فيه من فائدة أدبية.

2- نوصي بالتركيز على الدراسات التي تخص الشخصيات الأكاديمية الأدبية لأنها تنماز بالدقة والرصانة العلمية.

3- تحديد آليات الكشف عن السمات الأسلوبية العامة والخاصة منعا للاستطراد غير النافع

4- الاستفادة من المناهج النقدية الحديثة في تحليل النصوص وفق السمات التي تطغى على النصوص المدروسة

## قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين. (1939). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق وتعليق: أحمد الوفي، وبدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر، الفجالة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). مقدمة ابن خلدون. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلى.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- الجاحظ. (1998). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. ط2. بيروت: دار الجيل.
- الجارم، علي. (1990). البلاغة الواضحة: البيان، والمعاني، والبديع. محمد أمين.

- الجرجاني، عبد القاهر. (1989). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- حمدان، زهراء & بادي، منار. (2026). أَبنية الأفعال الثلاثية المزيدة ودلالاتها فِي ديوان السَّيِّد نُعمان الأَعرَجيّ الحِلِّيّ. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 6(3). https://doi.org/10.56989/benkj.v6i3.1810
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد. (1976). بيان إعجاز القرآن. ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف.
- الداية، فايز. (1990). جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي (ط. 2). دمشق: دار الفكر.
- الداية، فايز. (2003). جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي. ط2. دمشق: دار الفكر.
- الشايب، أحمد. (1990). الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- علوش، سعيد. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1. الدار البيضاء.
- فضل، صلاح. (1999). علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (1980). القاموس المحيط. ترتيب: طاهر الزواوي. ط2. القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الكرماني، محمود بن حمزة. (2014). أسرار التكرار في القرآن الكريم. تحقيق: أحمد عطا. ط1. دمشق: دار الاعتصام للنشر والتوزيع.
- المحنة، سعيد عدنان. (2014). في أفق الأدب. بغداد: تموز للطباعة والنشر والتوزيع.
- المراغي، أحمد. (1989). علوم البلاغة: البيان، والمعاني، والبديع. ط1. بيروت: دار القلم.
- مصلوح، سعد. (1992). الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية. ط3. القاهرة: عالم الكتب.
- مطلوب، أحمد. (1980). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ط1. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- المقدسي، أنيس. (1980). الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. ط5. بيروت: دار العلم للملايين.